

من المضاعفات الخطيرة أثناء إجراء عملية كبيرة كهذه . أضف إلى ما يصيب الجسم من عوارض سيئة تنتاب الحيوان والإنسان بعد مضي وقت من استئصال مثل هذا العضو المهم

أهمية الطحال

والطحال هو « بوليس » الجسم لأنه يتلقى الدم من الأجسام الغريبة ويقتل الميكروبات الضارة ، فهو مخزن كرات الدم البيضاء والخلايا الأكلية ، وهو يعد الجسم بالعناصر الدفاعية العديدة التي مازال منشؤها غامضاً على الطب . فاستئصال الطحال إذن يمرض حياة الشخص للأمراض المختلفة ، ويجعل حياته قصيرة الأجل إذ يفقد الجسم القدرة على مقاومة الأمراض



طحال مصري عند بدء إصابته بالمرض ووزنه ٣٧٥ جم (١) الب الأحمر وبه أجسام غريبة (٢) بحفظة الطحال (٣) سرة الطحال (٤) أنزفة متقشرة من تأثير إصابته بالبرصات

وعن على الأطباء أن يقفوا حيارى أمام تلك المعضلة التي اختصت بها مصر من دون بلاد العالم . وأثار فضولهم أن يروا مريضاً خطيراً لا يدركون من أمره شيئاً ، بل إن كل ظواهره هي ظواهر الحالة العادية للطحال فلا يوجد به علامات تسبب ذلك التضخم تضاربت الطنون والفروض ، وقدر الأطباء ما شامت لهم نظرياتهم ثم أخرجوا فروضهم إلى حيز العمل ولكن المرض ظل على حاله . وزاد حيرة الباحثين كثرة المرض وظهوره الفجائي ، ففي كل عشر إصابات بالتضخم أمكن الطبيب أن يعرف سبب ثلاث حالات أو أربع ويمزوها إلى حمى الملاريا أو الكلازاد أو الأورام وفي بقى الحالات كان يقف أمام سر متلق وازدادت حيرة الأطباء عند ما لاحظوا ظهور التضخم فجأة ، إذ كان المرضى يؤكدون أنهم كانوا بصحة جيدة منذ شهور قليلة مع أن حالات التضخم التي يمر بها القلب تحتاج إلى سنوات .

استطلاع صحفي (ريپورتاج)*

٢٠ سنة في مكافحة البلهارسيا مرض تضخم الطحال

في مصر علماء وأطباء يغفون جهودهم سنين طويلة على تحقيق نظرية أو اكتشاف ظاهرة . وهذه قصة طيب سلخ عشرين عاماً من حياته ليخفف عن الفلاح آلام المرض ويقى الأمة عوامل الضعف والأعلال

وهم يعيشون الناس أكثر مما يعيشون لأنفسهم حتى يفضلون ملازمة مريض أو الاشتغال في معمل على الظهور في المجتمعات . ولذلك رأينا أن تصل بهذه الفئة من الباحثين فكشف عن جهودهم ونطلع الناس على أخبارهم لهذا نوق الباطلين قدم .

في الوجه البحري حيث تكثرت الاستشفات ، وحيث وسائل صرف المياه مازالت على أسوأ طرقها تنتشر البلهارسيا بين الفلاحين فتتوزع دماءهم ، ولا تقف عند هذا الحد بل تسبب لهم مرض تضخم الطحال فتكبر بطون الرجال والسيدات وما هم بمجالى ، إذ يحمل مرضاهم طحالاً متضخماً يزيد وزنه على وزن طفل في ستة أشهر . فيبلغ وزن الطحال خمسة كيلو جرامات مع أن وزنه العادى يتراوح بين ١٧٠ و ٢٠٠ جرام تقريباً أى أن المريض يحمل ما زنته خمسة وعشرون طحالاً

ظل هذا المرض معضلة الطب المصرى حتى سنة ١٩٢٩ إذ تمكن الدكتور أنيس أنسى بك مدير معامل الصحة من اكتشاف سببه ، ثم قدم بحته للبيئات الطبية العالية فنال موافقتها ، وأخيراً سجله في « بورصة الأبحاث الطبية » الجمعية الملكية البريطانية لطب المناطق الحارة في ٢٥ أبريل الماضى

ويتضخم الطحال لأسباب عدة ، منها الإصابة بحمى الملاريا أو بالتغيرات المفاوية العامة ؛ وفي هذه الحالات يسهل تشخيص الداء بالطرق الفنية والميكروسكوبية كفحص الدم مثلاً ، إلا أنه في حالة الإصابة بالبلهارسيا تضخم كل الدلائل ولا يظهر بالطحال أى خلل أو عيب ، فيرى الطبيب أن مريضه سليم الجسم ، وأن كل عضو يؤدي وظيفته بانتظام إذا استثنينا كبر الطحال مما يضى الجسم ويهرق العضلات فلا يجد الطبيب مفراً من استئصاله ليخلص المريض المسكين من حله الثقيل ، ولا يحنى ما يتعرض له المريض

(•) الرسالة : آثرنا كلمة (استطلاع) في ترجمة (ريپورتاج) على كلمة استخبار ليكون هناك فرق بين المستغير الباحث والمستغير الناقل

تباشير النجاح أيضاً بدت . فيها هي ذى ظواهر ديدان البلهارسيا .
وهاهو ذا أثر الصراع بين محتويات الطحال وبين تلك البويضات .
فهل ديدان البلهارسيا هي السبب ؟

لتجيب على هذا السؤال نعم يجب أن نجد بويضة البلهارسيا
نفسها . وهذه إن وجدت فلن يسهل العثور عليها إلا في طحال
الأطفال أو في حالات المرض الأولى أو الحادة . فإن طحال الطفل
أضعف من أن يهضم هذه الدودة الخطيرة وبويضاتها ؛ وبهذا وضع
الدكتور يده على مفتاح المرض وبقي عليه أن يكشفه فيصور
البويضة في الطحال كما يجب عليه أن يلقح الطحال بديدان
البلهارسيا ويرى النتيجة

واستحضر لذلك قدرة خاصة عرفت باصابتها بهذا النوع
من المرض وهي تجلب من جزر الهند الغربية . وأجرى تجاربه
مدة طويلة احتاج أثناءها إلى أكثر من ٣٠٠ قرد . واستعان
بالأرانب فكان له منها ضحايا في كل يوم

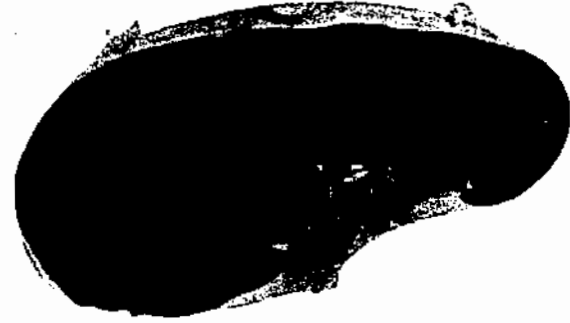


بويضة البلهارسيا في الطحال وتبين (٥) فتحة البويضة (٦) جزءاً
ذائباً في الفتحة ويرى جزء صغير من الجين حالة اتصاله بخلايا الطحال
خارج الفتحة حيث تنك خلايا الطحال الأكلة بحنين البلهارسيا وتبين
(٨) إحدى الخلايا الأكلة الدائمة

معركة هربية

ونجحت التجارب فثبت الغرض . ويقول الدكتور في تحليل
تضخم الطحال « إنه عندما تغزو بويضات البلهارسيا لب الطحال
تحدث به التهاباً حاداً سريعاً تبعه على عجل استعدادات وترتيبات
لازمة لتبديد بعملية التجاذب بين مواد الطحال والجسم الغريب

وكذلك لاحظ الأطباء أن أكثر حالات التضخم المجهولة كانت
كثيرة في الوجه البحرى فبلغ نسبتها ٣٠ إلى ١ في الوجه القبلى .
وعندئذ جزم الدكتور أنيس بأن « هناك حالة مرض مصرى
عضال غير معروف سببها ، كثيرة الانتشار في مصر السفلى »



قطاع في طحال متضخم نتيجة عدوى بالبلهارسيا ويلاحظ أن جدره
غليظة كما تظهر فيه عدة أنزعة منتشرة منه

الحلقة المفقودة

بدأ الدكتور أبحاثه في سنة ١٩٠٨ وكان وقتئذ مساعد أستاذ
في القصر العيني حيث راقب حالات التضخم وحاول أن يعالجها .
ولكنه لاحظ أن كل الحالات التي ترد إلى المستشفى حالات
مرتبطة وصل فيها تضخم الطحال إلى حد أرغم المريض على الرقاد
فأيقن أن إحدى حلقات المرض مفقودة ولم يطلع عليها الطب .
وبعد تفكير طويل يقين بأن هذه الحلقة المفقودة هي بدء المرض
أو حالته الحادة

فإن فلاحينا من الفقر لا يستسلمون للمرض إلا إذا ثقلت
وطأته على أجسامهم فلم تحتفل شدته . فإذا أضفنا إلى هذا أن
وظيفة الطحال هي الفتك بالميكروبات والأجسام الغريبة ثم التماسها
سهل على الطبيب أن يستنتج أن ميكروب المرض من الضعف
بحيث يفتك به الطحال أولاً بأول . واحتاج هذا الغرض العلمى
إلى تحقيق يتناول المرض في حالته الحادة أو الحديثة التي لا يهتم
بأمورها الفلاح . وعندئذ ظهرت مهمة الطبيب شاقة ، لأن هذه
الحالات ليست في المستشفى ولا عند الأطباء ، بل هي هناك
في القرى وداخل الأكوخ

وذهب الدكتور أنيس في طلب الفلاحين ، فزار مرضاهم
في بيوتهم وما كاد يبدأ بمحته حتى اشتد عجزه إذ وجد ٨٠ في المائة
من شبان الفلاحين وأطفالهم مصابين بهذا المرض المريب ولكن

فإذا كانت البويضات قليلة وأتيح للمريض فرصة العلاج تمكن نسيج الطحال الزاخر بخلاياه الأكلولة من هضمها وإزالتها فتزول عوارض المرض . أما إذا استمر تضرر الإنسان للمدوى فإن الطحال يتضخم بتكاثر خلاياه بجميع أنواعها حتى تصل إلى سرية البطن ، أو يمتد إلى حافة الجوف ، ويستمر على هذه الزيادة حتى تنحصر فرصة العلاج أو ينتقل إلى مكان لا توجد به قواقع . فيضمر الطحال ويصاب بتليف عام ، وتضخم في عظمته وعوارضه ، وتتحول الألياف المرنة إلى نسيج ضام ، ولكن الخلايا السليمة منه تستمر على أداء عملها بالدفاع عن الجسم من غزو الأمراض والحميات وغيرها



طحال مصري متضخم وزنه ٤ كيلو جرام وطوله ٣٨ سم ومرضه ١٨ سم أي أنه أضخم من أي طفل

ويحافظ الطحال على هذا الحجم رغم انتهاء دور الإصابة ، وخلق البول والبراز من بويضات البلهارسيا ، وفي هذه الحالة يلقب بالطحال المتوطن ، ومن هذا يتبين أن تضخم الطحال يمكن أن يزول في حالات المرض الأولى . أما إذا أزمّن وطالت مدته ونشأ التليف بين أنسجته وخلاياه فإن تضخمه يلازم المريض ، وقد ينقص حجمه قليلاً بالعلاج أو بالانتقال من مراكز المدوى ولكنه لا يعود إلى حجمه الطبيعي نوردي محمد الشنوي

ثم بتعادل وتخفيف المواد السامة القابلة للذوبان . وتعقب ذلك عملية الهضم التي تقوم بها الخلايا الأكلولة المتحركة التي تقطن اللب الأحمر »

وتتخفى تلك الخلايا للقيام بعمل سريع ؛ فتتجمع حول البويضات النازحة في صفوف متراسة مكونة بذلك خطوط الدفاع التي تعقبها على عجل عملية الخمار لتوقف فعل المواد الغريبة السامة التي تفرزها البويضات في تلك الدائرة الضيقة . ثم تهجم الخلايا الأكلولة على غلاف البويضات فتذيقه إلى مادتها فتلتهمها وإلى ما تحلف بعد ذلك فتبتلعها فتق الجسم شرتك السموم » فإذا تمت هذه العملية التصقت كل خلية بجارتها مكونة سدا منيعا يحول دون تسرب أية مادة سامة إلى النسيج السليم ثم تبدى (الخلايا) في توأدها وتكاثرها فتتحول إلى خلايا ذات نواة كبيرة Siant Bell . وهكذا يكبر الطحال تبعا لتوالد الخلايا وتكاثرها أثناء صراعها مع ديدان البلهارسيا وبويضاتها »

مرض متوطن

وأيد الطبيب في إثبات رأيه ما رآه من انتشار قواقع البلهارسيا في الوجه البحري ، فإن انخفاض ذلك الإقليم ورداءة طرق الصرف فيه جعلته موطن المياه الراكية وبالتالي معمل تفريغ الميكروبات والديدان وأهمها البلهارسيا والإنكلستوما .

« ويعتبر مرض تضخم الطحال متوطناً في كل بقاع مصر ، وينتشر بكثرة كما تشتد عوارضه وتكثر مضاعفاته بالناتج المنخفضة في شمال الدلتا حيث تكثر المصارف والترع ويكثر تبعاً لها توالد القواقع طول فصول السنة بخلاف ما نشاهده في الوجه القبلي حيث رى الحياض ما زال باقياً فتقل بذلك نسبة المدوى قليلاً . وبالرغم من وفرة وجود القواقع أثناء الفيضان فإنها لا تلبث أن تموت متى جفت الأرض وانخفض مستوى الماء »

وتظهر الأعراض البدئية للمرض عقب المدوى بالسركاريا وتظهر مصحوبة بتوسع الزاج واضطرابات في الجهاز البول والجهاز المعوي وتظهر البويضات في البول والبراز ويصل تضخم الطحال في هذا الدور إلى أسفل الضلوع بنحو قيراطين . وينشأ نتيجة تفاعلات لب الطحال أحدثها إصابته حديثاً ببويضات البلهارسيا